وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد
من التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا
صعوده دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء
جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ان يكون ايضا مصدرا كالقبول وصفة له اي قذفا دحورا ولهم
عذاب اي عذاب اخر واصب دائم او شديد وهو عذاب الاخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن
بدل منه فاتبعه شهاب ثاقب والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ
خطف مفتوح الخاء ومكسورها واصلها اختطف واتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد
الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث
انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك
للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد كثرته وقوعه او مصيره دحورا واختلف في
ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيبه كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون
عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان
النار القوية اذا استولت على النار الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوءه فاستفتهم فاستخبرهم
والضمير لمشركي مكة او لبني آدم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق
والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله
انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم
والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي
الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان
الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة ادم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط
مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم لذلك واما لعدم قدرة الفاعل ومن قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به
بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بداهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك
وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي الى تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون
منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على
معنى الاستعظام اللازم فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل
عجبت واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم
وقلة فكرهم واذا راوا اية تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم
من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه وقيل المعجزة الرسول الا سحر مبين ظاهر سحريته أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار

واشعارا



واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقرأ نافع
والكسائي ويعقوب بطرح الثانية او اباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة
الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون
صاغرون وانما اكتفي به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله او الرسول
وقرأ الكسائي وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة
اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها
فاذا هم ينظرون فاذا هم قيام ينظرون من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين
اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو
من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض
بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب
مع عبدتها كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام
وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وفيه دليل على ان الذين
ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسئولون عن عقايدهم واعمالهم
والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان موقفهم متعدد ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع
بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم
بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤسا والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك
فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنه او عن الدين او الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا
مستعار من يمين الانسان الذي اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة فتقسروننا على
الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم او عن القوة فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم على الحق قالوا بل لم تكونوا
مومنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤسا اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم
ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون
فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما
فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو
من اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل
بالمجرمين بالمشركين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون ائنا لتاركوا
الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق
قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على
تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحل باللام وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما
عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناء وهم عنه باعتبار

Copyright © King Saud University